مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 14 / العدد: 02 / ديسمبر 2021
ص ص: 203 ـ 216

الظواهر و المميزات اللهجية في لغة هذيل : دراسة في المستويات اللغوية

The Dialectological Phenomena and Features in the Language of Hothial : A Study on Linguistic Levels

نزيهة زايـر *

جامعة العربي بن مهيدي

أم البواقي / الجزائر

Zairnazih@gmail.com

ثليثة بليردوح

جامعة العربي بن مهيدي

أم البواقي / الجزائر

Discourd19@gmail.com

تاريخ الارسال: 2021/05/19 تاريخ القبول: 2021/10/04 تاريخ النشر: 2021/12/31

الملخص:

إن اللغة العربية الفصحى أدق لغة بناها الإنسان لأنها تعبر عن التنوع المنتشر في الكون وتترجم صور الحياة. وهي دائما أسماء للموجودات في حياة الإنسان، فلكل موجود لفظة الموازي.

لأجل ذلك صح القول أن للغة رؤية تاريخية ساهمت في استقصاء التطورات والتغيرات التي تعتري العناصر اللغوية في لغة ما. فقد اجتمعت اللهجات العربية لتخرج للوجود اللغة الفصحى التي نعرفها الآن ولعل أقدم وأعرق هذه اللهجات "لهجة هذيل" التي تميزت بتركيبها اللغوي الساحر، وبيانها الذي لم يختلف حوله اللغويون القدامى أو المحدثين، فنظرة عامة على شعر هذه القبيلة، تدعونا إلى اكتشاف تراث لغوي وفني يزخر بصور قمة الجمال الأدبي، حيكت بلغة قوية تميل إلى الغرابة لذلك كان ولازال شعر هذيل في كل عهود هذه اللغة موضع اهتمام كبار الرواة والمؤلفين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم.

الكلمات المفتاحية: لهجة، خصائص لغوية، اللغة العربية، الألفاظ الغريبة.

Abstract:

Classical Arabic is the most accurate language which was contracted by human being, because it expresses diversity in all the world and translates people's life as each one has his own pronunciation.

* المؤلف المرسل.

For this, we can say that language looks like a historical vision that contributed to investigate all the progresses and changes which stripped linguistic elements for any language. All the Arabic dialects gathered to bring the Classical Arabic into existence, and may be the oldest and ancient accent was "HAVEL ACCENT" which was distinguished by its charming linguistic composition, and its statement that neither the old nor the modern linguists disagreed about. An overview of the poetry of this tribe invites us to discover a linguistic and artistic heritage rich in images of the summit of literary beauty. In all the epochs, this language is of interest to the great narrators and authors of all sects and schools

Key words: accent/ dialect, linguistic features, Arabic language/Arabic, strange vocalizations.

مقدمـة:

إنّ وجود العربية الفصحى المثالية التي كان العرب، وما يزالون، يجنحون إليها حين يريدون الأداء اللغوي الرفيع، لم يكن ليمنع وجود لغات، أو لهجات أخرى خاصة لأهل هذا القطر أو ذاك، وهذه القبيلة أو تلك، يستعملونها فيتفاهمون بها أكثر من غيرهم، وقد بدا على نحو واضح حين شرح اللغويون الأقدمون يدونون اللغة، ويقعِّدون لها القواعد؛ إذ أن العربي منّا يتكلم بلهجته الدارجة في قطره أو مدينته، فإذا ما أراد أن يكتب أو يؤلف أو يتكلم مع عربيّ آخر لا يفهم لهجته، عمد إلى ذلك النمط المثالي في الأداء، وهو الذي اعتدنا أن نسميه **"العربية الفصحى"**[1].

وقد سمّى العلماء الأقدمون هذا الكلام الخاص لقطر أو قبيلة معينة "**لغة**"[2]ونسميه اليوم "**لهجة**"[3]

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ اللغة تشمل عادة أكثر من لهجة. وقد ذكر بعض أهل القرآن أنه نزل بلغات بعض القبائل من بينها لهجة هذيل، ومما يؤكد أهمية ومكانة هذه اللهجة بين قبائل العرب ما روي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- إذ قال: "نزل القرآن بلغة مُضَر"، وهذيل حيّ من مضر.[4] فلا غرابة فهذه الشهادة صادرة عن صحابي جليل فصيح القول، ونظرة عامة على شعر هذيل كافية لاكتشاف تراث فني يزخر بصور في قمة الجمال الأدبي، حيكت بلغة قوية تميل إلى الغرابة، فشعرهم كما وصفه الدكتور أحمد كمال زكي بدويّ اللفظ والأسلوب حافل بالصور والقصص الحزين.[5]

ومجمل القول إنه لا اختلاف حول فصاحة هذيل بل إنّ كلّ من يطلع على قصائد شعرائها سيلاحظ حتما غرابة لا مثيل لها تميز ألفاظهم. فهم لا يستعملون المتداول السهل إنما

يعمدون إلى الصعب والغريب فهل هذا هو سر فصاحتهم؟ وإلى أي مدى طغت خصوصية لهجتهم البدوية على لغتنا العربية؟

أولا/ مكانة لهجة هذيل بين قبائل العرب:

لقد كان لموقع قبيلة هذيل المتوسط بين القبائل الموغلة في البداوة من جهة والقبائل التي نالت حظها من الحضارة من جهة أخرى أثر كبير في تكوين البناء اللغوي للهجة هذيل.[4] إضافة إلى أن القبيلة كانت واحدة من القبائل المجاورة لقريش مركز الفصاحة كلها.

لأجل ذلك كله حازت لهجة هذيل على مكانة رفيعة في نفوس الرواة واللغويين والنحويين، إذا اتخذوها عونا على ضبط اللغة وتدوين خصائصها وهو بذلك أطلعونا على ما اختلفت فيه لغة هذيل عن اللغات الأخرى. ومن جانب آخر يرى الكثير من الباحثين أن النحاة حين حددوا قبائل الفصاحة وجعلوا لهجاتهم مصادر في النحو العربي لم يقصروا الأخذ عن قريش إنما سمعوا مما عداها من قبائل الحجاز ونجد مركزين اهتمامهم على سكان البراري ممن كانوا أشد توحّشا وحفاء وهم قيس وتميم وطيء ثم هذيل.[5]

ثانيا/ خصائص لغة هذيل:

حين دوّن اللغويّون اللغة ولهجاتها في القرن الثاني للهجرة، اعتمدوا في ذلك على ثلاثة مقاييس هي الزمان والقبائل وأحوال الرواة.[6] وأكثر ما يعنينا في هذا المقام أنّ قبيلة هذيل كانت من القبائل المعتمدة عند جامعي اللغة لانطباق المقاييس الثلاثة عليها، لكن وكما هو معلوم إن أيّ دراسة حديثة تتعلق بخصائص لهجية للغة ما لا يمكن إغفال الجوانب اللغوية الأربعة المعروفة فيها ونقصد هنا:

- الجانب الصوتي (أصوات الكلمة) *Phonology phonetics* ؛
- الجانب الصرفي (بنية الكلمة) *Morphology*؛
- الجانب النحوي (بناء الجملة) *Syntax* ؛
- الجانب الدلالي (معنى الكلمة) *Semantics* .

لذلك حاولت الولوج للهجة هذيل ملتمسة هذه الجوانب بغية استنباط بعض خصائص القبيلة اللهجية مستعينة في ذلك بتراثها الشعري الضخم وبعض ما قيل حولها.

1/ المستوى الصوتي والصرفي:

ومن غير الممكن الحديث عن بنية الكلمة دون التطرق لأصواتها مما يفسر تداخل هذين المستويين، فكلاهما يُعنى بدراسة هيكل اللفظ نسخة وصورة، وما يطرأ على حروفه من إبدال وتصحيح وبناء وما إلى ذلك، ومن بين الظواهر التي رصدتها لنا كتب اللغة:

أ/ النـــبر:

ويقصد به الهمز، فمن المعروف أنه (الهمز) من الخصائص البدوية لأنه صوت حنجري يناسب هذه البيئة.[7] وقد أكد هذه المعلومة صاحب كتاب الخصائص بقوله: "إنّ البعض تقْوَى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفي به طبعه ويتخلىّ به اعتماده... يبذل من الألف همزة... فيقول: شأبة، دأبة...".[8].

وقد أثر عن هذيل إبدال الهمزة من حروف العلة، وهذه الظاهرة لها عدة صور منها ما يكون واجبا ومنها ما يكون جائزا ومنها ما يعدّ شاذا، إذ تبدل الهمزة وجوبا على لغة هذيل في حمراء، وعباءة، عظاءة، فعظاءة لغة في عظاية.[9] ونسب أبو حيان التوحيدي إلى هذيل قولهم في (وعاء) إعاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ**﴾[10]. ومن ذلك قولهم "إشاح" و"إسادة" في "وشاح" و"وسادة.[11]. على أنني لم أقرأ في شعرهم "إشاح" و"إسادة" إلا أنني وجدت ما نسج على منوالهما فيقول مالك بن خالد الخناعي[12]:

لإلْدِلكَ أَصحابِي فلا تَزْدَهِيهِمُ *** بِسايَةَ إذا مدّتْ عليكَ الَحلائبُ

و"إلَدُك" لغة في وَلَدِك وهو يريد القول: لا تَحقِروا أصحابي فإنّهم إذا جاء الناسُ وكَثُروا دَفَعوا عنّي[13]وهو ما ذهب إلى المعطل:[14] حين قال:

له إلدة سفْعُ الوجوه كأنّهم * * * يصفِّقهم وَعْك من الموم ماهن

يريد القول أنّ هؤلاء الأولاد مصابون بالهزال والحمّى فالسفع يقصد به الحمرة الشديدة ويصفقهم، يقلبهم والوعك هو الحمّى، ومن ذلك أيضا قول الأعلم.[15]:

هَوَاءُ مثل بعلك مستميتُ *** عَلَى مَا فِي إعَائِك كالخيال

شرح السكري هذا البيت بقوله: "هو منضوب الفؤاد لا عقل له (أي الفارغ) أي يموت على الزاد من البخل وهو يريد بذلك أن جوفه خال ليس فيه شيء".[16]

وفي ذات السياق تحدث الدكتور عبد الصبور شاهين عن النبر وعلاقته بهذيل فقال: "... وقد ورد النص في كلام أبي زيد الأنصاري أن أهل الحجازي وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون".[17] أي أنهم كانوا يؤثرون التسهيل على التحقيق، ومن المؤكد أن عبد الصبور شاهين

كان يقصد القبائل الحضرية فهو يعلل تخفيف الهمزة بقوله: "لم يكن مقصورا على منطقة دون أخرى مؤكدا أنه من خصائص نطق القبائل الحضرية".[18]

وهذيل كما هو معلوم حضر وبدو. وعليه يمكن القول أن تحقيق الهمز اختص به أهل البادية من هذيل –المنتشرين على سفوح الجبال وأطراف الوديان- بينما التسهيل اختص به أهل الحضر ممن عاشوا بالقرب من المدن كمكة والمدينة والطائف، ومما أثر عن هذيل أيضا إبدالها آخر الفعل المعتل كقولهم: أتا، يأتوا، أتوني، في أتى يأتي على نحو ما جاء في أبيات خالد بن زهير التي قالها في أبي ذؤيب الهذلي:[19]

يا قومِ ما بالُ أبي ذُؤَيْبِ *** كنتُ إذا أَتَوْته من غَيْبِ

يَشَمُّ عِطْفي ويَمَسُّ ثوبي *** كأَنَّني قد رَبْتُه بَرَيْبِ

ب/ الفحفحة:

ومعناها قلب الحاء عينا مطلقا، ولقد نسبها التوحيدي إلى هذيل حيث تقول العرب في ذات السياق: حَلَتِ الحياة لكل حيّ بينما هذيل تقول: علت الحياة لكل عيّ.[20] فعلى هذا النحو قرأ بن مسعود قوله تعالى: ﴿**لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[21]. فكتب إليه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه-: "إن الله أنزل هذا القرآن عربيا، وأنزله بلغة قريش فلا تقرؤوه بلغة هذيل".[22]

لكن الكثير من الباحثين أجمعوا أن الفحفحة خاصة بحاء "**حتى**" على نحو ما جاء في كلام العرب **"جلست عنده عتى الليل"**. ومن جهة أخرى احتج باحثون آخرون بوجود مثل هذه الظاهرة في كل كلام العرب ولم تقتصر على حاء "**حتى**"، واحتدم النقاش في الموضوع إلا أنها تبقى مجرد آراء تميزت شواهدها بضعف نقلها وهو الأمر الذي ذهب إليه الدكتور عبد الغفار حامد هلال بقوله: "... وهذا النقل ضعيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على إبدال الحاء من "**حتى**" ولم يبدلها من "**حين**"".[23]

ومع هذا يجب أن نعرف أن ظاهرة قلب **الحاء عينا** ثابتة وإن لم تدخل ضمن ما يعرف بالفحفحة، وذلك لورودها في أمثلة لغوية تضمنتها المعاجم على نحو: بعثر - بحثر- اللحم الأحمر - اللعم الأعمر.[24].

وما يهمنا -نحن- أن هذه الظاهرة ثبت وجودها في مصحف ابن مسعود -باعتباره هذليا- وهذا دليل على نسبتها إلى بعض بطون هذيل.

ج/ الاستنطاء:

ويقصد به جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، فأعطى يقال فيها "أنطى".[25]

وقد نسب اللغويون وعلى رأسهم السيوطي والزبيدي هذه الظاهرة لسعد بكر وهذيل والأزد وقيسو الأنصار.[26] ورغم الشواهد القليلة التي استعان بها الزبيدي والسيوطي لإثبات الاستنطاء في لهجة هذيل إلا أن معظم الباحثين المعاصرين استبعدوا نسبة هذه الظاهرة لهذيل ومنهم الدكتور أحمد كمال زكي الذي قال: "نستطيع أن نبعد الاستنطاء عن هذيل ونجعله لقبائل اليمن فقط وإذا صح ما قيل أن هذيل كانت ممن تأخذ به فلا يبعد أن يكون ممن يعنى به رهط صغير منها جاور اليمن، أو تكون هذيل اليمن، فقد كانت ثمة قبيلة يمنية تحمل هذا الاسم".[27]

د/ الحـــذف:

معروف أن البدو كانوا يسرعون في نطقهم لذلك كانوا يلتمسون أيسر الطرق كإدغام بعض الأصوات ببعضها البعض، وإسقاط أصوات أخرى دون إخلال بالمعنى وهذيل كانت ممن يعتمد الحذف على طريقة البدو وبغرض الاقتصاد في الجهد العضلي والإسراع في النطق على نحو ما جاء ببيت أبي صغر الهذلي:[28]

كَأَنَّهُمَا مِالآنِ لَمْ يَتَغَيَّرا *** وَقَدْ مَرَّ بِالدَّارَيْنِ مِنَ بَعْدِنَا عَصْرُ

والصواب "**من الآن**".

كذلك أثر عن هذيل حذف حروف وإبدالها بأخرى مفخّمَةٍ على عادة القبائل البدويـة.[29] من ذلك بيت ساعـدة بن جؤيـة الهذلي[*] الذي استشهـد بـه ابن منظـور في قاموسه:[30]

بأَصْدَقِ بأْسٍ من خليلِ ثَمينةٍ *** وأَمْضى إذا ما أَفْلَطَ القائمَ اليَدُ

أراد "أفلت القائم اليد"، وهذا البيت لم يمكن أن نعزو ما جاء فيه من إطباق إلى ضرورة شعرية اقتضته، لأن الميزان الشعري قائم في كلا النطقين (بالتاء أو بالطاء).

إضافة إلى هذه الظواهر التي انفردت هذيل بها، هناك ظواهر صوتية أخرى شاركت هذيل فيها جيرانها من القبائل البدوية، فهذه طيء تقول: في قفاي "قفيّ" وفي "عصَايَ عصَيَ، وفي فتايَ فَتَيَ...."[31] على نحو ما جاء في قول أبي ذؤيب الهذلي[32]

سَبَقوا هَوَيَّ وأعنَقوا لِهواهُمُ *** فتخَرّموا ولكلِّ جنبٍ مَصرَعُ

والشائـع عند العرب في بنـاء الفعل الأجوف للمجهول بكسر الحرف الأول منه على نحو: باعَ- بيعَ، لكن بعض هذيل كانون يشاركون أسدا وبني دبير وغيرهما فيقولهم "بوعَ" بقلب الألف واواً.(33)

2/ المستوى النحوي:

لقد اعتنى اللغويون القدامى والمحدثون بلهجة هذيل أيما عناية نظرا لصفائها النابع عن الفطرة الإنسانية التي تميز بها شعراء هذه القبيلة، إذ بذلوا الكثير من الوقت والدقة لتحري الشاذ المنحرف والمطرد من كلامهم، ومع ضخامة التراث الشعري الهذلي رأيت أن أركز على أهم المسائل التي شغلت أولئك النحويين قديما وحديثا.

أ/ بعض وجوه الإعراب:

جاء في قول الله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا**﴾(34). قرأ بعضهم فنعم بكسر النون والعين، وذكر ابن كثير أن كلا من ورش وحفص قرأوا "نعما" على لغة من يحركُ العين ويتبع النون بحركتها وهذه لغة هذيل.(35) وفي ذات السياق قيل أن هذيلا قرأت "نَجْد" بضمتين متعاقلتين (نُجُد) ومن ذلك ما جاء في قول أبي ذؤيب(36).

في غابةٍ بِجَنُوبِ السِّيِّ مَشْرَبُها *** غَوْرٌ ومَصْدَرُها عن مائِها نُجُدُ

وهو يريد القول أن هذه الدواب ترعى بنجد وتشرب بتهامة.

كذلك كانت هذيـل تفضل التخفيف في تـا "يتقى" على نحو ما جاء في قـول ساعـدة بن جوبــة(37):

يَتَّقي بِهِ نَفيانَ كُلِّ عَشِيَّةٍ *** فَالماءُ فَوقَ مُتونِهِ يَتَصَبَّبُ

ب/ اسم الاستفهام:

استعمل الهذليون "متى" للاستفهام والشرط شأنهم شأن سائر العرب، فقد تكرر الاستفهام ب: "متى" عدة مرات في ديوانهم على نحو ما جاء في قول مالك بن خالد الخناعي:(38)

مَتَى تنْزِعوا مِنْ بَطْنِ ليَّةٍ تصبعوا *** بقرنٍ لَمْ يَضْمُرْ لَكُمْ بَطنُ مَحْمَرِ[39]

فَلاَ تَهَدَّدْنَا بِقَحْمِكَ[40] إنّنا *** مَتَى تَأتينَا نُنْزِلُكَ عَنْهُ ويُعْقَرُ

والشاعر في البيتين يتوعد غريما قائلا: لا تأتنا على فرسك المسن.

وبالمقابل وصلت بلاغة الهذليين وبراعتهم بهم إلى جعل "متى" بمعنى "من" الجارة من ذلك ما جاء في قول أبي ذؤيب الهذلي[41].

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ ترفَّعَتْ *** مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[42]

وهو يريد القول بأن هذه اللجج (السحب) تروت بماء البحر ثم مرت سريعة محدثة صوتا ثم ارتفعت.

ويشرح السكري هذا البيت قائلا: "متى" في لغة هذيل وسط الشيء إذ تقول: "أَخْرَجْتُهُ منْ متىَ كُمِّيّ" أي من وسطه ومتى في هذه الحال تصبح ظرفا.[43]

ج/ تقديم خبر المبتدأ عليه:

لقد احتدم الخلاف حول هذه المسألة بين كل البصريين والكوفيين؛ إذ أكد البصريون جواز تقديم خبر المبتدإ عليه مفردا كان أو جملة على نحو قولهم: "قائِمٌ زيْدٌ"، بينما أنكر الكوفيون ذلك بحجة أن مثل هذا التقديم يؤدي إلى تقديم ضمير الاسم على ظاهر. فاحتج البصريون بقولهم: "إنما جوزنا ذلك لأنه جاء في كلام العرب وأشعارهم ودعموا كلامهم بنصوص تتخللها ثلاث أبيات شعرية أحدها لمالك بن خالد الخناعي الهذلي ويقول فيه:

فَتىً ما اِبنُ الأَغَرّ إذا شَتَوْنا *** وَحُبَّ الزادُ في شَهرَى قُماحِ[44]

وتقديره: ابن الأغرّ إذا شتونا.[45]

د/ دخول الحذف على "رب":

وكالعادة اختلف البصريون والكوفيون حول جواز دخول الحذف على "ربّ" أو عدمه، لكن ابن الأنباري حسم الأمر هذه المرة بوقوفه إلى جانب البصريين بحجة أن الكثير من العرب قالوا في "ربّ" "رُبَ" بالتخفيف، مستشهدين ببعض أبيات الشعر العربي القديم على نحو ما جاء في قول أبي كبير الهذلي (**):[46]

أَزَهَيْرُ إِنَّهُ يَشِبُ القُذَالُ فإنني *** رُبَ هَيْضَلِ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضل[47]

والشاعر هنا يخاطب زوجته (يا زهيرة) ويصف لها تقدمه في العمر وما اعتراه من شيب، وقد كان بالأمس محاربا شديد المراس حكيما بأمور القتال، وعلى كل فالشاعر حذف إحدى الباءين من ربّ.

3/ المستوى الدلالي:

يقال إنّ الشذوذ يجلب الشذوذ وهذا ما ينطبق بالفعل على هذيل، إذ أن عيش هذه القبيلة بإقليم جغرافي شاذ متباين المعالم والتضاريس من جبال فارعة الطول إلى وديان منبسطة فسيحة، ومن منابع ضحلة كثيرة الكلأ إلى صحراء قاحلة ملتهبة، جعل مجتمعها شاذا، شذت- بذلك- لغتهم، وتفردت قبيلتهم بألفاظ لم تعرفها القبائل الأخرى.[48]

والأعرابي كما هو معلوم إذا قويت فصاحته تصرّف وارتجل ما لم يسبق إليه.[49]

تفردت هذيل بحشد هائل من الألفاظ الغريبة، فقد تطلق إحدى القبائل كلمة بمعنى ما فيكون لهذا المعنى لفظ آخر عند هذيل، ومثل هذا الأمر كثير في ديوانهم، من ذلك ما يروى أنهم يسمون "الشيخ" "شنجا" فيقولون: "شنج على عنج أي شيخ على بعير ثقيل"، والشنج في لغة سائر العرب يعني تقبض الجلد والأصابع وغيرهما، ومن ذلك مدحهم للرجل النشيط بقولهم: شنج النّسا أي متقبضة لأن رجلاه لم تستريحا".[50]

جاء في لسان العرب: زبر الكتاب وذبره: كتبه وقيل نقطه، وقيل قرأه خفيفة، لكن هذيل تجعل الزبر للكتابة والذبر للقراءة.[51]

وقد استشهد ابن منظور ببيت صخر الغي.[52]

فيها كتابٌ ذُبِرَ لمُقْتَرى *** يَعْرِفهُمْ أَلْبُهُمُ وَمن حَشَدُوا[53]

و"الذبر" هنا –كما شرحه السكري- يعنى الكتابة بالحميرية إذ يقال ذبر يذبر: إذا نظر فأحسن النظر.[54]

تقول العرب أشاح الرجل إشاحة، وهو مشبح أي حذر وفطن، إلا هذيل ذلك أن المشايحة -في عرفهم- تعنى الجد والحمل.[55] من ذلك قول أبي ذؤيب يرثي رجلا:[56]

وزَعْتَهُمُ حتى إذا ما تَبَدَّدُوا *** سِراعاً ولاحَتْ وُجُوهٌ وكُشُوحُ[57]

بَدَرْتَ إلى أُولاهُمُ فَسَبَقْتَهُمْ *** وشايَحْتَ قبلَ اليومِ إنكَ شِيحُ

وهو يريد القول: تركت الأصحاب يتبددون ويسرعون ثم سبقتهم إلى أولى العدو وشايحت: أي حملت. والضحضاح في لغة سائر العرب تعنى الماء القليل يكون في الغدير وغيره.[58] وفي بيت أبي ذؤيب الذي يقول فيه:[59]

يجُشُّ رَعدًا كَهَدرِ الفَحلِ تَتبَعُهُ *** أُدمٌ تَعَطَّفُ حَولَ الفَحلِ ضَحضاحُ

يشرح أبو سعيد السكري الضحضاح فيقول أنها تعنى في هذا البيت الإبل الكثيرة.[60] والبيت ذاته استشهد به صاحب لسان العرب ناقلا رأي خالد بن كلثوم الذي يقول: ضحضاح في لغة هذيل: كثير ولا يعرفها غيرهم إذ يقولون: إبل ضحضاح، وغنم ضحضاح أي كثيرة.[61]

ويقال أن الزخّ في كلام العرب –الدفع، لكنه في لغة هذيل يعني الغضب والحقد.[62] من ذلك قول صخر الغي يهجو رجلا:[63]

فَلَا تَقْعُدَنَّ عَلَى زَخَّةٍ *** وَتُضْمِرَ الْقَلْبِ وَجْدًا وَخِيفَا

وهو يريد به: لا تقعدن على غيظ تضمره بقلبك، ويشير أبو سعيد فيشرحه للبيت قائلا: ولم أسمعه في كلام العرب ولا أشعارهم، إلا في هذا البيت.[64] وكذلك كان لهذيل ميزة خاصة في تسمية الحيوانات فهم يقولون للبقرة: "الحزومة" والأسد "السرحان"[65] على نحو ما جاء في قول حذيفة بن أنس:[66]

بَنو الحربِ أُرضِعنا بِها مُقمَطِرَّةً *** فمن يُلقَ مِنا يُلقَ سيدٌ مُدَرَّبُ[67]

فُرافِرَةٌ أَظفارُهُ مِثلُ نابِهِ *** وَإِن يُشوِ نابُ اللَيثِ لا يُشوِ مِخلَبُ[68]

(ينظر شرح أشعار الهذليين: 561/2).

والشاعر هنا يصف إقدام قومه ومواجهتهم للموت، فيشبههم بالسيد وهو الأسد في لغتهم. كذلك يرى القالي أن العرب استعملت الألفاظ التالية: "السمل"، "الجرد"، "السحق" و"النهج" لوصف الثوب القديم، وبالمقابل استعملت هذيل "الحشيف" على نحو ما جاء فيقول شاعرهم:[69]

أُتِيحَ لها أُقَيْدِرُ ذُو حَشِيفٍ *** إذا سَامَتْ عَلَى المَلَقاتِ سَامَا[70]

واستعملت هذيل أيضا "الدّريس" على نحو ما جاء في قول المتنخّل[71].

قَدْ حَالَ بَيْنَ دَرِيسِهِ مُؤَوِّبَةٌ *** نِسْعٌ لَهَا بِعِضَاهِ الْأَرْضِ تَهْزِيزُ

كذلك تسمي هذيل اللحية: أيْم وأين والأصل أيَّمٌ فخففت على نحو ما جاء في بيت أبي كبير الهذلي[72]:

وَلَقَد وَرِدْتَ المَاءَ لَمْ يَشْرَبْ به *** بين الرّبيع إلى شهور الصّيف

إلاّ عواسَل كالمراط معيدةٌ *** بالليل مَوْرِدَ أيّم مُتَغَضّف[73]

و"ألدغاول" في لغة هذيل تعني الدواهي وعنها يقول القالي "ولم له بواحد" ثم يسترسل مستشهدا بقول رجل هذلي: "فَقُلْصِي لكم ما عِشْتُمُ ذو دَغَاوِلِ".[74]

الخاتمة:

في نهاية الأمر لا يمكن حصر الكم الهائل من الظواهر اللغوية التي اختصت بها هذيل دون سائر العرب، فاللفظ هو بمثابة كائن حي يعيش ويتطور ليصور كل مظاهر الحياة، فكيف تكون ألفاظ ومعاني باعدنا الزمن عنها لأكثر من أربعة عشر قرنا؟ ومهما يكن فمن الصعب وضع حدود للهجة قبيلة عريقة كهذيل، بالتالي يصعب أيضا تحديد مميزاتها، رغم توفر المادة التي جمعها اللغويون، وذلك لأن الباحث قد يعجز عن تبين نسبتها.

ومجمل القول إن عزلة هذيل باعتبارها بدوية جعلها تحتفظ بسليقتها في التعبير مما ميز ألفاظها بالغرابة الموحشة، غرابة اعتبرها اللغويون ميزة نابعة عن طبع أصيل، فشعرهم رغم ما يكتسيه من غرابة لفظية إلا أنه قيم ويعكس معاني حياة بدوية جميلة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن حيان التوحيدي أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف. البحر المحيط. مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط1، عام 1328هـ: ج: 1-2.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر. ط1، 1956م: ج: 2-3-4-7.
- الأنباري كمال الدين أبي البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. دار الجيل. ط1. 1986م.
- الجندي أحمد علم الدين. اللهجات العربية في التراث. الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس. ط1، 1978م، ج: 1-2.
- حامد هلال عبد الغفار. اللهجات العربية نشأة وتطورا. دار الفكر العربي. القاهرة. ط1. 1998. ج: 1.
- ديوان الهذليين. دار الكتب المصرية. ط1، 1959م، ج: 1-2-3.
- الزبيدي محمد مرتضى. تاج العروس في جواهر القاموس. المطبعة الخيرية. مصر. ط1، 1306هـ. ج: 1.
- زكي أحمد كمال. شعر الهذليين في العصريين الجاهلي والإسلامي. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. ط1. 1969.
- السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين. شرح أشعار الهذليين. تحقيق: عبد الستار أحمد فرح. مراجعة: محمد محمود محمد شاكر. مكتبة دار العروبة، القاهرة: ج: 1-2.
- السيوطي جلال الدين. المزهر في علوم اللغة. شرح وتحقيق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم علي النجار: ج: 1.
- شاهين عبد الصبور. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1 د.ت.
- القرآن الكريم.

قائمة المطبوعات والدوريات:

- سائد ياسين أسعد. ما بني على أشعار العرب من تصاريف اللغة وقواعدها. مذكرة ماجستير بإشراف من الدكتور يحي عبد الرؤوف جبر. كلية الدراسات العليا. جامعة النجاح الوطنية نابلس. فلسطين. 1998.
- المصري عبد الفتاح. لغة هذيل عن مجلة التراث العربي. العدد 13-04/ اتحاد الكتاب العرب. دمشق. يناير/ عام 1984

الهوامش:

([1]) عبد الفتاح المصري. لغة هذيل. مجلة التراث العربي. العدد 13-04، اتحاد الكتاب العرب. دمشق. يناير/ أكتوبر 1984م.

[2] ويقصد باللغة هنا: الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة.

[3] وهو ما يعرف في الاصطلاح العلمي الحديث بأنه مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة.

([4]) زاير نزيهة. التركيب البلاغي في شعر الهذليين. مذكرة لنيل شهادة الماجستير: ص 37.

([5]) أحمد كمال زكي. شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. ط1. 1969: ص 116.

([6]) عبد الفتاح المصري. لغة هذيل. مجلة التراث العربي: ص 04.

([7]) الدكتور عبد الصبور شاهين. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1 د.ت: ص 30.

([8]) أبو الفتح ابن جني. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية. 207/3.

([9]) عبد الغفار حامد هلال. اللهجات العربية نشأة وتطورا: ص 158- 159.

([10]) سورة يوسف الآية 76.

([11]) أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان التوحيدي. البحر المحيط: 331/5- 332.

([12]) ديوان الهذليين. دار الكتاب المصرية. ط1. سنة 1950م: 09/3.

[13] الحلائب: الجماعات.

([14]) وهو أحد بني رهم بن سعد بن هذيل، ينظر في ديوان الهذليين 49/3.

([15]) الأعلم واسمه: حبيب بن عبد الله، وهو أخ للشاعر صخر الغي. والبيت موجود بديوان الهذليين: 83/2.

([16]) أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري. تحقيق: عبد الستار أحمد فرح. شرح أشعار الهذليين. مكتبة دار العروبة القاهرة: 319/1.

([17]) الدكتور عبد الصبور شاهين. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. دت: ص 84.

([18]) عبد الصبور شاهين. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 85.

([19]) ديوان الهذليين: 165/1.

([20]) عبد الغفار حامد هلال. اللهجات العربية نشأة وتطورا: ص 123.

([21]) سورة يوسف الآية 35.

([22]) أبو حيان التوحيدي. البحر المحيط: 307/5.

([23]) عبد الغفار حامد هلال. اللهجات العربية نشأة وتطورا: ص 123.

([24]) جلال السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. 1/ 422.

([25]) جلال الدين السيوطي. المزهر: 22/1.

([26]) محمد مرتضى الزبيدي. تاج العروس في جواهر القاموس. المطبعة الخيرية. مصر. ط1، 1306هـ: 08/1.

([27]) أحمد كمال زكي. شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي: ص 302.

([28]) السكري. شرح أشعار الهذليين: 256/2.

([29]) الدكتور أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث. الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس. ط1، 1978م: 94-93/1.

([30]) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي. لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر. ط1، 1956م: 372/7.

([31]) ابن منظور الإفريقي. لسان العرب: 55/20.

([32]) هو خويلد بن خالد الهذلي. شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم وشارك في الفتوحات الإسلامية، ديوان الهذليين: 02/1.

([33]) أحمد كمال زكي. شعر الهذليين: ص 305.

([34]) سورة البقرة الآية 271.

([35]) أبو حيان التوحيدي. البحر المحيط: 324/2.

([36]) ديوان الهذليين: 124/1.

([37]) أحمد كمال زكي. شعر الهذليين: ص 307.

([38]) هو بن سعيد بن هذيل، شاعر هذلي جاهلي. ديوان الهذليين: 07/03.

([39])تنزعوا: تخرجوا، بطن ليّة: موضع، المحمر والهجين: من الدواب.

([40])القحم: المسن

([41]) ديوان الهذليين: 52-51/1.

([42])لجج: سحب، لهن، نئيج: مرّ سريع.

([43]) السكري. شرح أشعار الهذليين: 123/1

([44])قماح: شهران في الشتاء.

([45]) كمال الدين أبي البركات الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. دار الجيل. ط1. 1986م: 67-66/1.

([46]) وهو عامر أو عويمر بن الحليس الهذلي. وهو شاعر مخضرم. ديوان الهذليين: 89/2.

([47])القذال: هو ما بين الأذنين والقفا، المراس: ذو مراس وشدة، الهيضل: الجماعة من الناس.

([48]) أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث: 541/2.

([49]) جلال الدين السيوطي. المزهر في علوم اللغة: 205/1.

([50]) ابن منظور. لسان العرب. 309/2- 310 مادة (شنج).

([51]) المصدر نفسه. 301/4 مادة (ذبر).

([52]) السكري. شرح أشعار الهذليين: 256/1.

([53]) المقترى: القارئ، ألبهم: جماعتهم.

([54]) ابن منظور. لسان العرب. 301/4 مادة ذبر.

([55]) المصدر نفسه. 500/2 مادة (شيح).

([56]) ديوان الهذليين: 115/1- 166.

([57])وزعتهم: أي كففتهم.

([58]) ابن منظور. لسان العرب. 525/2 مادة (ضحج).

([59]) ديوان الهذليين: 48/1.

([60]) السكري. شرح أشعار الهذليين: 167/1.

([61]) ابن منظور. لسان العرب: 525/2 مادة (ضحج).

([62]) المصدر نفسه: 21/3 مادة (زخخ).

([63]) ديوان الهذليين: 74/2.

([64]) السكري. شرح أشعار الهذليين: 299/1.

([65])السرحان في كلام العرب هو الذئب أو السيد. لسان العرب: 482/2 مادة (سرح).

([66]) ديوان الهذليين: 25/3.

[67] ()مقمطرة: الشنيعة يريد: أرضعنا بها وقد تهيأت للشر المدرب: الضاري

[68] فرافرة: يفرفر كل شيء وهو يشير إلى أظافر السبع الحادة. يشو: يقال أشواه إذا أصاب منه الأمر الهين.

([69]) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي. أمالي القالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1398هـ- 1978م: 39/1.

([70])أقيدر: متهيء، سام مرّ.

([71])واسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي.

([72]) ديوان الهذليين: 105/2.

([73])العواسل: يعني تعسل في مشيها، أي تمرُّ مرًّا سريعا، وإنما يقصد الذئاب. المرابط: النبل المنزوعة الريش، المتغضف: المنطو.

([74]) أبو علي القالي: 147/2.